مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
522 –505 :(2022) 1 العدد 15 المجلد ISSN : 1112- 7163 EISSN: 2588-1892

العلاقة العلمية بين المشرق الإباضي ومغربه.. قراءة في مراسلة الشيخ أبي مسلم العماني إلى الشيخ اطفيش الجزائري

The scientific relationship between eastern and western Ibadite.. Analysing the corespondence between the Omani sheikh Abi Muslim and the Algerian sheikh Tefayash

صالح سيوسيو[1]، كريمة بوخراص[2]

1- جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان–الجزائر–
Siousa2010@yahoo.fr
2- جامعة أحمد بن بلة، وهران–الجزائر–
kboulakhras2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/14 تاريخ القبول: 2021/07/10 تاريخ النشر : 2022/06/09

ملخص:

المقال قراءة في مراسلة تاريخية من أبي مسلم العماني في الشرق الإفريقي «زنجبار» إلى الشيخ اطفيش الجزائري، تضاف إلى رصيد أبي مسلم في الكتابة النثرية الأدبية، في فن «الدّعاء والابتهال» ومصطلحاته في ذلك –كما في المحور الأول–، وفي فن «الإخوانيات»، وصدقه في المودة الدّينية والحب في الله، بما وظّفه من معان، وبما استرجعه من ذكريات واقعية عايشها –كما في المحور الثاني–، وتكشف أيضا عن أدبه الجم في التواضع لأهل العلم ومُخاطبتهم، ولقد وظّف في ذلك قاموساً متنوعاً من الألفاظ، تُعرب عن هضمه للنفس–كما في المحور الثالث–.

ولقد ركز هذا المقال بعد التعريف بطرفي المراسلة، على الجوانب التاريخية التي تكشفها هذه المراسلة الفريدة، وقد برزت أهميتها لدى المقارنة، مع ما قيل عن المرسل الشيخ أبي مسلم عند من كتب عنه وترجم له.

كلمات دالة: مراسلة، أبو مسلم، اطفيش، الأسماء الحسنى، التصوف.

المؤلف المرسل: صالح سيوسيو:Siousa2010@yahoo.fr

Abstract:

This article is about written correspondence from Chiekh Abou moslim who was living in Zenzibar to Chiekh Teffayach in Algeria, in the first chapter we talk about the literature of Abou moslim and the terms he used in praying and suppliant, the second chapter is about "Ikhwaniate" poetry, he remembered beautiful memories from his past, he is being modest and kind to scholars in his time, and you will find so many expressions of respect and appreciation in the last chapter.

The main information in this article is historical, we can take it as a considerable reference about Chick Abou moslim, his academic interests and his life.

Key words: Correspondence, Abou moslim, Teffayach, The best names, Mysticim.

مقدمة:

قصّة التّواصل العلمي الحضاري بين المشرق والمغرب لها جذورٌ ضاربةٌ في ضُحى التّاريخ الإسلاَمي ولا تزال، وخزائن الكُتب المخطوطة تكشف من حين لآخر عن شواهد جديدة، تعبر عن مدى قوة تلك الصلة التي كانت ومتانتها، ولا ريب أن الرسالة المكتوبة أقوى وسيلة في ذلك بعد الحضور الشخصي، ولاسيَّما إذا صدرَت من أهل العلم الفضلاء. ومن النماذج الجيدة المعبرة عن هذا التواصل، هذه المراسلة التي صدرت من الشاعر أبي مسلم البهلاني العماني في زنجبار في الشرق الإفريقي، إلى الشيخ امحمد اطفيَّش «القطب» في واد مزاب بالجزائر.

والمراسلة يمكن تناولها من الجانب الأدبي، وقد صدرت من أديب شاعر، كذا من الجانب الفكري، وهو لب المضمون وهدف المراسلة، بيد أن التركيز سيقع على الجوانب التاريخية فيها، وما تضيفه من جديد إلى تلكم العلاقات، التي تربط بين المشرق والمغرب عموماً، وإلى ترجمة أبي مسلم خاصة؛ لذا سأتناول هذه المراسلة في نقاط ثلاث:

أولا، تمهيد حول طبيعة المراسلة وقيمتها التوثيقية.

ثانيا، تعريف مختصر المرسل والمرسل إليه.

ثالثا، جديد المراسلة في الجوانب التاريخية.

حول المراسلة وقيمتها التاريخية:

بتاريخ ذي القعدة من العام 1308هـ/ 1891م (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 4و)، أرسل الشيخ ناصر بن سالم الرواحي، مراسلة إلى الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش؛ لحاجات إخوانية إيمانية علمية. تقع هذه المراسلة في سبع صفحات (4 أوراق)، على شكل كُراس، تنقصه ورقة واحدة مزدوجة، وصفحاته بمقاس: 26× 18، في حالة حفظ جيّدة، بخطّ صاحبها، المشرقي الجميل، بقلم حبر يميل إلى السواد، والمراسلة اكتشفها الباحثَ مؤخّراً، ضَمن أعمال الفهرسة، الَتي جرت في مكتبةَ القطب، ببني يسجن، غرداية–الجزائر.

وقد تجلّت القيمة التاريخية التوثيقية للمراسلة، حين مقارنة ما ورد فيها وما تفيده، مع بعض ما قيل عن أبي مسلم صاحب المراسلة، فهي إضافة حقيقية لترجمته، ومسيرته العلمية، ولاسيما أنّها تعود إلى فترة مبكّرة من حياته.. فترة الثّلاثينات وما قبلها، والتي هي غير واضحة المعالم إلى حدّ ما، بل تختلطً أحدَاثُها أحيانا مع أحداث مشابهة؛ حدثت في المرحلة الثانية من حياته، وهذا ما لاحظته في علاقة أبي مسلم بالحج مثلاً –كما سَيأتي–، وأسهم في هذا الخلط أيضا كون أبي مسلم نبغ أكثر في الجزء الثاني من حياته واشتهر، أي بعد رجوعه إلى زنجبار وتقلُّده المناصب الرسمية، واضطلاعه بالجوانب العلمية والسياسية على حد سواء.

هذا، وقد تضمنت المراسلة ثلاثة محاور رئيسة:

أولا: دعاءٌ وابتهالٌ إلى الله تعالى، ممزوجٌ بذكر صفات المرسل إليه ومآثره.

ثانيا: إبداء مشاعر المحبة، وذكريات اللّقاء والفراق، وإمكانية التّواصل.

ثالثا: ذكر قصيدة في الابتهال وطريقتها، وطلَب شرحها، والسّعي في طَبعها.

والمراسلة تعبير صادق عَنَ الودّ والحبَ العميقينَ، اللّذين يكنّهما المرسلَ للمرسل إليه، وكذا تعبير عن المكانة العلمية التي يتبوؤهَا الشيخَ اطفيش العالم عند الشيخ الشابَ أبي مسلم الرواحي، وتعلّق أبي مسلم به في تلك المرحلة من حياته، وكذا ثقة أبي مسلم في نفسه، حتى إنه لطلب منه شرح قصيدة له، لتطبع وتنشر.

وتكشف المراسلة عن أحداث مُهمّة وعلاقات، كلقاء الشيخ أبي مسلم بالشيخ اطفيش في موسم الحج ومكان اجتماعه به، وتُصحح –لأول مَرة– ما اشتهر عنه في هذا الصدد، وتكشف أيضا عن جوانب من علاقة أبي مسلَم بوالده «العالم الزاهد» –كما وصفه– وعائلته، وتذكر بالضبط تاريخ وفاة هذا الوالد الفاضل، كما تذكر سائحاً مغربياً باسمه، «الواصل مرتين إلى عمان وزنجبار»، كما تتضمن أخبَاراً عن طَباعة قصيدة، في أسماء الله تعالى الحسنى، مع التفرد في الكشف عن طريقتها واسمها، وكذا شرح الناظم لها..

والمراسلة بعد ذلك تعدّ وثيقة مهمة، تضاف إلى رصيد أبي مسلم في الكتابة النثرية الأدبية، في فن «الدعاء والابتهال» ومصطلحاته وهذا ما نجده في المحور الأول، كما أنها تعرض قطعة من أدبه في فن «الإخوانيات» ، وصدقه في المودة الدينية والحب في الله، بما وظّفه من معان، وبما استرجعه من ذكريات واقعية عايشها كما في المحور الثاني، وتكشف عن أدبه الجم في التواضع لأهل العلم ومخاطبتهم، والوصع من شخصه الكريم، إلى حد الإفراط، ولقد وظّف في ذلك قاموسا متنوعا من الألفاظ، تعرب عن تذلّله وهضمه للنفس كما في المحور الثالث.

والمراسلة بشكل أوسع، تكشف عن العلاقة العلمية الإخوانية، القائمة بين المشرق الإباضي ومغربه، في تلك الفترة العصيبة من حياة الأمة الإسلامية، وعن مكانة الشيخ اطفيش العلمية، الذي « انتعش به جدّ مذهبنا الشرقي والغربي، وافتخرنا بسعادة وجوده على جميع الفرق المخالفة» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2و) -على حد تعبير أبي مسلم-، كما تكشف عن اهتمامات أبي مسلم الرواحي، في فترة ذهبية من حياته، فترة الثلاثينات، حين استقر به المقام ثانية في زنجبار، وحين بدأ نجمه في التألق واللمعان، في تلك البيئة الخصيبة الكريمة، قبل أن يتحول إلى الهم الصحفي والسياسي، ويراسل أيمة الدين مستنهضا وذاكرا وناصحا، كما في رسالته إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي.

وحيث إن الغرض هنا ليس الخوض في دراسة هذه المراسلة الهامة من جميع جوانبها؛ ولذلك أعرضت عن شرح مفردات الرسالة اللغوية وتعابيرها، لما لمست في كثير منها، من دلالات ذات معان خاصة، تتعلق بفن التوسل والمناجاة، ويبدو أنها تسربت من حقل «التصوف» والسلوك، حتى قال بعض أدبائنا في معرض حديثه عن «اللغة الصوفية» في شعر أبي مسلم: «ونحن لا نستطيع أن نقطع برأي حول القصد من استخدام هذه التعابير عند الشاعر، أهو استخدام فلسفي اصطلاحي، معقود لما وراءه من معان وإشارات يعرفها المتصوفة، أم هو استخدام لا يتعدى المجال الشعري الذي يستخدمه الشعراء عادة مَن كل الأجواء الأدبية، حسب قراءتهم ورؤاهم الفنية وأبعاد تجاربهم الشعرية؟» (محمد صالح ناصر، 1998، 133) ويمكن أن يقال الكلام نفسه في نثره. لذا سأكتفي بهذا القدر من التمهيد، وأُحيل القارئ على المراسلة، لأركّز بعد التعريف بطرفيها، على الجوانب التاريخية التي تكشفها هذه المراسلة الفريدة، وقد برزت أهميتها لدى المقارنة، مع ما قيل عن المرسل الشيخ أبي مسلم الرواحي عند من كتب عنه.

نبذة عن المرسل والمرسل إليه:

أود التعريف بطرفي هذه المراسلة العلمية الإخوانية، لكن بشكل مختصر مركّز؛ وهذا نظراً لشهرتهما العلمية الكبيرة؛ فهناك تراجم عرّفت بهما بشكل موسع موثّق، وسأحيل عليها بحول الله، مع الجديد التي ستثبته هذه المراسلة.

فالمرسل هو أبو مسلم البهلاني (1277هـ/ 1861م) كما عرف نفسه هو: «ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي، العبسي، الإباضي، العماني قُطراً، المحرمي بلداً ووطناً» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 4و)، وفي محرم من وادي بني رواحة، تلقى مبادئ العلوم اللّغوية والشرعية، وإلى جانب تعلّم القرآن الكريم، جلس فترة إلى الشيخ محمد بن سليم الرواحي، كما أسهم والده القاضي الفقيه، في تحصيله العلمي، لكن لعصاميته دور كبير في تكوينه.

انتقل مع والده إلى الشرق الإفريقي «زنجبار» سنة 1295هـ/ 1878م، ثم رجع من ذلك بعد خمس سنوات في 1300هـ/ 1883 م، ليعود ثانية بعد خمس أخرى، سنة 1305هـ/ 1888م، والمصادر تتّفق على هذه الرحلات وتواريخها، لكن تختلف في رحلته إلى الحج، بين متجاهلة لها، ومثبتة لحجة واحدة وحيدة، وهذه المراسلة ستكشف عن أن رحلته الأولى كانت في سنة 1302هـ/ 1885م، والثانية في سنة 1305هـ/ 1888م، كما تثبت بعض رسائله التي أشرنا إليها في التعليقات، والتقاؤه بالشيخ اطفيش كان في الحجة الأولى، لا في سنة 1308هـ/ 1891م، والمراسلة تشير إلى تضعيف حصول حجة له في هذه السنة، كما تذكر المصادر التي ذكرت حجته الوحيدة.

كتب الشعر في وقت مبكّر، ونبغ فيه حتى لُقّب بـ «شاعر العصر» (محمد بن ناصر المحروقي: 1999–2000م، 70)، واشتهر بقصائده في الأذكار والابتهالات والتوسل بأسماء الله الحسنى وكذا الاستنهاض، كما كتب في الأصول الدينية والفقه الإسلامي، واشتهر كتابه نثار الجوهر في الفقه، وأبان فيه عن مقدرة واجتهاد، وشارك في المجال الصحفي والسياسي، فأنشأ جريدة «النجاح» ، وله مراسلات وعلاقات مع نُفيف من أهل العلم والمصلحين في زمانه (سلطان الشيباني، 1424هـ/2003م، 5–34).

من ذلك مراسلاته مع علاّمة الجزائر، الشيخ اطفيش الشهير بـ «قطب الأيمة»، ومنها مراسلته هذه التي بين أيدينا الآن، فمن هو الشيخ اطفيش؟

هو الشيخ المحمَّد بن يوسف اطْفَيَّش (1243–1332هـ/ 1827–1914م) «المغربي اليسجني المزابي الإباضي الوهبي» –كما عرفه أبو مسلم في هذه المراسلة– (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2و)، دخل الكتاب فحفظ القرآن الكريم، وهو لم يتجاوز التاسعة، وحفظ قسطاً وافراً من فنون العلم، وجلس إلى بعض مشايخ العلم، ولاسيما أخوه الحاج إبراهيم، الذي

أشاد به كثيراً، لكن عُرف عن الشيخ عصاميته، ولقد جلس إليه بعض من درَّسوه، لما حباه الله من ذكاء وقّاد، وحافظة لاقطة، وهمة عالية.

اشتهر أنه لم يحج بيتَ الله الحرام إلا مرتين؛ فالأولى في سنة 1290هـ/ 1873م تقريبا، والثانية: 1302هـ/ 1885 م، وفيها التقى بأبي مسلم الرواحي، والصحيح أن له حجة ثالثة، وكانت في شبابه سنة 1264هـ/ 1848م (سيوسيو صالح، بوسنان محمد: 1434هـ/2013م، 9)، هذا إلى جانب زياراته القريبة إلى قرى مزاب ووارجلان.

ألّف في وقت مبكّر جدّاً، إذ نظم مغني اللبيب وهو في السّابعة عشر، ثم توالت تآليفه في مختلف الفنون اللّغوية وَالشرعية، بل ألّف أيضا في المنطق والزراعة، والطب والفلك، بين كتاب ورسالة، وشرح وحاشية. وتتلمذ على يده كثير من أقطاب النّهضة، وسعى في إصلاح المجتمع وجاهد الاستعمار.

هذا إلى جانب تواصله مع مختلف الأقطار، إذ كتب إلى العلماء والسلاطين، وراسله أهل مذهبه –ولاسيما من أهل عمان– وغيرهم، وأجاب على كثير من الأسئلة، وحل المعضلات والألغاز، فكان منارة بحق أضاءت النّصف الثاني من القرن الثالث عشر، وربع القرن الذي بَعده، ولا يزال.

جديد المراسلة في الجوانب التاريخية:

في هذه المراسلة –كما سبق– جانب توثيقي هام، يمتدّ ليجيب على أسئلة كانت معلّقة في ترجمة الشيخ أبي مسلم، وأهمية هذا التوثيق من أهمية الشيخ نفسه، وأدواره التي كان يؤديها بين مهجره في الشرق الأفريقي، وموطنه الأصلي عمان، ومن فيه من علماء وأئمة وسلاطين؛ فإلى تتبع جديد المراسلة مع المقارنة ببعض ما قاله بعض الذين تحدثوا في ترجمته أو كتبوا عنها:

–توثيق لقاء أبي مسلم بالشيخ اطفيش في موسم الحج:

في المراسلة تصريح أبي مسلم نفسه بهذه اللقيا في قوله: «ولقد شاهدتُّ ذاتك المكرَّمة الطاهرة بمكة المشرفة عام حجتك الأخيرة» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، وكانت هذه الحجة في العام 1302هـ/ 1885م، فقد ورد في رسالة جاءت من عمان إلى الشيخ اطفيش: «والذي أشرت عليه أنّك اجتمعت به في مكّة المشرفة، أظنه هو: أحمد بن سليمان، لأنه قد ذكرك لنا أيام رجوعه من الحج، في سنة 1302... كاتبه الفقير لله تعالى: عمران بن مسلم بن خميس بيده الفانية، بتاريخ: عاشر من شهر ربيع الأول، سنة 1304» (مكتبة محمد بن أيوب الحاج سعيد، مجموع رسائل، د.ت)، والحجة التي كانت قبلها كانت في «عام ألف ومائتين

وتسعين تقريبا» كما صرح بذلك الشيخ اطفيش نفسه، أي 1290هـ/ 1874م أو ما قرب منها (محمد بن يوسف اطفيش، د،ت، 54ظ، 55و).

وأكد الشيخ أبو مسلم هذه اللّقيا في سياق آخر من المراسلة، قائلا وفي لوعة: «فنازعتني الرغبة الوافرة إلى مصاحبتك إلى وطنك العزيز، للأخذ عنك والتلقّي منك، ولكن ثنائي يومئذ وجود والدي –رحمه الله– ، وكوني لم أستأذنه إلاّ للحج، ففارقتك وفي القلب أسف، فواحسرتاهً على ما فاتني من جليل الخير» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، فالسياق كله صريح في أن أبا مسلم التقى بالشيخ اطفيش، وليس ذلك إلا في موسم الحج في العام 1302هـ/ 1885م، وهذا بعد رجوعه من زنجبار، وقبل أن يعود إليه في العام 1305هـ/ 1887م، وخفي على بعض التراجم حج أبي مسلم إلى بيت الله الحرام أو غفلت عنه، مع أنه حدث مهم في حيَاته، قد يكون له تأثير ما على أبي مسلم الشاب الطموح، وتكتفي بذكر رحلتيه إلى زنجبار، ومقدار مكوثه في هذا البلد، حتى أوهمت أن لا رحلة له غير تينك الرحلتين (ناصر بن سالم الرواحي: 1421هـ/2001م،4)، (ناصر بن سالم الرواحي: 1424هـ/2004م، 19–27)، وكان بعضها أشبه بالصريح في نفي الحج عنه، حين اكتفت بالقول: «وكان أبو مسلم ينوي السفر إلى الديار المقدسة ثم العودة إلى (عمان)، وذلك في أخريات عمره، إلا أن الأجل عاجله قبل إنفاذ هذا العزم» (ناصر بن محمد السلامي: 1985م، 50).

وذكر المحروقي نقلا عن أحمد بن سعود السيابي في لقاء معه، أن أبا مسلم التقى بالشيخ اطفيش في «مكة المكرمة»، وسماه بـ «شاعر العصر»، لكن دون أن يذكر في أي عام كان ذلك (محمد بن ناصر المحروقي: 1999هـ/2000م، 70)،كما تحدث الشيخ أحمد الخليلي في أجوبة محاضرته، التي ألقاها في معهد العلوم الشرعية، نقلا عن المهنا بن أبي مسلم– عن هذا اللقاء، وبعض ما حدث فيه بينهما، وأنه كان في حج عام 1308هـ/ 1891م، لكن يبدو أن هذه السنة المذكورة سبق لسان من المحاضر أو سبق قلم من ناسخ المحاضرة أو أن السنة المذكورة ليست هي سنة حجة اللُّقيا؛ لأن الحجة الأخيرة للشيخ اطفيش –كما سبق– كانت في العام 1302هـ، وهو التاريخ المناسب لهذه اللُّقيا، بدليل مفهوم هذا السياق أيضا (سالم بن سليمان الرواحي: 1424هـ/2004م،17)، ونقلت بعض المراجع تأريخ هذه الحجة، التي وصفت بالوحيدة (سلطان الشيباني: 1424هـ/2003م، 7)، (فهد السعدي: 1428هـ/2007م، 3/ 253).

ويبدو أن مصدر تأريخ هذه اللّقيا هي الرواية الشفوية عن الابن مهنا؛ لذلك لم تعرف –فيما يبدو– عند كثير ممّن ترجموا لأبي مسلم أو لم يحفلوا بها، وأيضا لأن أبا مسلم كان في عمره آنذاك حوالي 25 عاما، وهذا حسب الراجح من سنة ميلاده، واشتهاره كان بعد عودته إلى زنجبار

ومقامه فيها وترقّيه في بعض المناصب وكتابة مراسلاته؛ لذلك فتكون هذه المراسلة بخطّ صاحبها أبي مسلم، أول مصدر كتابي يوثّق تلك الحجة المباركة.

وفي أجوبة أسئلة محاضرة الشيخ الخليلي المشار إليها –نقلا عن الابن المهنا أيضا– حديث عن واقعة سرقة كتب الشيخ اطفيش ومنها «شرح النيل»، في الطريق بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة، من بعض قطّاع الطرق، وذكر الشيخ الخليلي أن الشيخ اطفيش وجد من ذلك أمراً عظيماً، فتوجه بالدعاء إلى الله تعالى، راجياً رد ما سرق منه، وطلب ممّن حوله التأمين على دعائه، وذكر من بينهم أبا مسلم، وهذا دليل آخر على تلك التُقيا.

والصحيح أن لأبي مسلم حجَّة ثانية، فها هو يكتب إلى الشيخ اطفيش رسالتين، مخاطباً له من مكّة، والرسالتان جميعاً كانتا جواباً على رسالة من الشيخ اطفيش إلى أبي مسلم، يسأله فيها عن الرجل الذي كتب الله تخليص كُتبه من البدو على يده، في تلك الواقعة المذكورة؛ فالأولى كانت باسم الحاج العماني «سالم بن جمعة»، ويبدو أنه صاحب هذا الشرف، وفيها يقول: « ويسلّم عليك من هنا كافّة حجّاج الإباضية من عمان وزنجبار، هذا من الحقير المقصّر الداعي لك بالخير: سالم بن جمعة بن مطر العماني الإباضي، تاريخه يوم: 14 الحَج 1305، يخصّك بجزيل التحية والسلام كاتب الأحرف، بأمر أخيه، خويدمك الحقير: ناصر بن سالم بن عُديّم العماني الإباضي بيده...».

والثانية كانت باسم الحجاج جميعا، وفيها يقول: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وعلى كافة مشايخنا الحاضرين بمقامك، وإخواننا المؤمنين الصالحين، وعلى طلبة العلم والعاملين به أجمعين، من كافّة إخوانك الفقراء لله تعالى، الحجّاج الواصلين بمكة، من إخوانكم الإباضية من أهل عمانَ والزنجبار.. يسلّم عليك، ويدعو لك بخير الدنيا والآخرة، ويسأل الله الاجتماع بك آناء الليل وأطراف النهار.. كاتبه بأمر إخوانه: ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي الوهبي، حررته بتاريخ يوم 18 الحج سنة 1305 ، وإن شاء الله يصل إلى حضرة جنابك مَن الكاتب الحقير، كتاب نرسله على ذمة كونصل الفرنساوية بزنجبار به بعض الحقائق...»، وهاتان الرسالتان تدلان على حجِ أبي مسلم للمرة الثانية، وربما كان ذلك قبل رجوعه إلى زنجبار 1305هـ / 1888م (مجموع رسائل مصورة: د.ت).

ومراسلة أبي مسلم هذه لم تكتف بتوثيق هذه اللّقيا مع الشيخ اطفيش، بل وثّقت أيضا مكان الاجتماع «واجتمعتُ بك بمنزلك المبارك، القريب من باب إبراهيم» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، وقد يكون المنزل هنا مجرد مكانَ حطّ الأمتعة في الحرم، والانطلاق منه لأي شعيرة. ومثل هذا الاجتماع داعٍ إلى معرفة الذات والتعلّق بها، وأبو مسلم لم يُخفِ أحاسيسه

بعد استذكار هذا الاجتماع، فقال: «فنازعتني الرغبة الوافرة إلى مصاحبتك إلى وطنك العزيز، للأخذ عنك والتلقّي منك» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2و)، لولا تلك العقبة؛ فقد اجتمع الفضل المغري والواجب الأخلاقي، ولابد من تقديم هذا الأخير عند ذوي الأخلاق والمروءة، فكان أن وضح أبو مسلم قائلا: «ولكن ثِنائي يومئذ وجودُ والدي –رحمه الله–، وكوني لم أستأذنه إلاّ للحجّ، ففارقتك وفي القلب أسف، فواحسرتاه عَلى ما فاتني من جليل الخير» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2و).

–علاقة أبي مسلم بوالده وضبط تاريخ وفاته:

وعلى ذكر هذا الوالد الفاضل (فهد السعدي: 1428هـ/2007م، 36/2) فقد أمعن أبو مسلم في ذكره بذكر وفاته، ولم يرد هذا التاريخ عند من كتبوا عنه؛ وعنها يقول: «وفي هذه السنة رُزئت بفقد والدي.. العالم الزاهد بزنجبار، لثلاث بقين، من شهر ربيع الأوّل، فالحمد لله على ما أَخَذ، والحمد لله على ما أعطى» (أبو مسلم الرَّواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، وفي سياق آخر من المراسلة ذكر أبو مسلم أثر وفاة الوالد على تعطّل شرح القصيدة التي بعث بها إلى الشيخ اطفيش؛ فيقول معربا عن بالغ تأثّره: «فقدر الله علي المصاب الأعظم عندي، بوفاة والدي –رحمه الله وغفر له ورضي عنه–، فضاق ذرعي وتشوش بالي» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3ظ).

وكأن عذر التحاقه بالشيخ اطفيش قد زال، لكن أبا مسلم يستدرك، ويقول: «ولولا اشتغالي بالقيام بأمر عائلته، وحقوق وصايته عليَّ؛ لَسعيت إلى خدمتك سعياً، ودأبت دأباً، وكنت لك خادماً وعونًا ومريدا» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، وفي العبارة بالغ الاستعداد لتقديم الخدمة والعون، قبل ذكر التعلّم والتتلمذ، بوصفهما الرابط بين التلميذ وشيخه، وقد أشار أبو مسلم إلى ذلك بقوله: «ومريدا»، وهي كلمة تشي كسابقاتها بالأدب الإسلامي الصوفي، الذي تخلّق به أبو مسلم، ويناسب جدّا موضوع المراسلة.

–إشارة أبي مسلم لاطلاعه على تفسير الهميان للشيخ اطفيش:

وعزز أبو مسلم صلته بالشيخ اطفيش في مراسلته بالإشارة على اطلاعه على تفسيره «هميان الزاد إلى دار المعاد» في مقدّمة المراسلة، حين قال مخاطباً الله تعالى في دعائه وابتهاله: «ووفّقته لتفسير كتابك الكريم» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 1و)؛ فمن المؤكّد أن أبا مسلم يشير هنا إلى أوّل تفسير للشيخ اطفيش، المسمّى: هميان الزاد إلى دار المَعاد، الذي كان وقتئذ يطبع في المطبعة السلطانية بزنجبار، برعاية السلطان برغش بن سعيد (الموسوعة العمانية؛

1434هـ/2013م، مج2/ 464) ووقْفه، ومن بعدَه إلى السلطان حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بن الإمام، الذي ظهر اسمه هذا في ج14، آخر جزء من تفسيره المذكور.

والتفسير خرج من المؤلّف الشيخ اطفيش في يسجن– غرداية، في أربعة مجلدات كبار؛ يستقل كل ربع بمجلّد، وفي كل جزء دوَّن الشيخ اطفيش بخطّه، عبارة «هذا الكتاب أمانة إلى السلطان برغش، ينسخه بالقالب، ويرده إلى مؤلفه»، وفي خزانته الربع الثاني والثالث والرابع دون الأول، وفي الربع الثالث والرابع.. نقرأ بالخط المشرقي، عبارة «هذا الكتاب أمانة الشيخ مبارك بن خلفان العوسجي، أمنه إياه يحي بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي» (امحمد بن يوسف اطفيش، د.ت، 1و) ، وهذا الأخير يبدو أنه هو المتابع للطبع، فقد دون عبارة الوقف باسم السلطان برغش، في الجزء الأول المطبوع، كما دونها في آخر جزء، باسم السلطان حمود بن محمد.

وظهرت الأجزاء الأربعة الأولى منه، في العام 1305هـ/ 1887م والجزءان الخامس والسادس، في العام 1306هـ. والسابع والثامن، في العام 1307هـ، والتاسع، في العام 1308هـ. ونصف ج العاشر، في العام 1310هـ. ونصف ج العاشر الثاني (هو ج11)، في العام 1311هـ، والثاني عشر، في العام 1310هـ، والثالث عشر، في العام 1312هـ. والرابع عشر والأخير، في العام 1314هـ/ 1896م، وهذا يعني أن نصف هذا التفسير قد ظهر حين كتابة أبي مسلم لمراسلته هذه.

–ذكر أبي مسلم للشيخ السايح الواصل بين المشرق والمغرب:

وكما ذكر أبو مسلم لقاءه بالشيخ اطفيش في الحج، ثم ما خالجه من مشاعر في اللقاء والافتراق والتشوق إلى الخدمة والعون، ذكر أيضا صلته به علمياً من خلال إشارته إلى كتابه في التفسير، ثم ذكر سائحا مغربيا يتردد على عمان، ويمكن بَه تجسير هذه العلاقة عمليا، «سيَّما [والقول لأبي مسلم] وقد أمكَنتني –الآن– الفرصة من جهة، وهي أن صُحبة أخينا الشّيخ السَايح الحاج أحمد بن الحاج أحمد اليسجني، الواصل مرتينَ إلى عمان وزنجبار، إلى زيارة إخوته في مذهبه» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 2ظ)، وهذا –أضاف أبو مسلم– «مما يساعدني على الاتّصال بك، ولكن أسأل الله أن لا يحرمني سؤلي من ذلك، بواسطة بركاتك، وحسن نيتي» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3و)، فهو يذكر الواسطة والسبب، مع تعلّق دائم بالله، لا ينافي التوسل ببركة الشيخ وحسن النية.. ومرة أخرى يعرب أبو مسلم عن أخلاقه الإسلامية الصوفية الراقية.

والصحيح في نسبة الشيخ المذكور البنوري أو النُّوري، نسبة إلى قرية «بنورة» من قُرى وادِ مزاب، غرداية– جنوب الجزائر، ونسبه أبو مسلم إلى قرية الشيخ اطفيش «يسجن» وهما أو سهوا. واسمه الكامل أحمد بن الحاج أحمد بن عمر النوري. سافر إلى عمان ومكث فيها عامين لطلب

العلم، ثم كان كثير التردّد على عُمان بعد ذلك، حتى لُقّب بـ «صاحب أهل عمان»، وهنا يثبت أبو مسلم أنه وصل مرتين إلى عمان، ولقد كان واسطة بين مزاب –وخصوصا الشيخ اطفيش– وأهل عمان، وكان شيخا في حلقة عزابة قصر بنورة مدّة أربعين عاما. توفّي مقتولاً في حادثة (أبو اليقظان إبراهيم: 1973م، 134/1)، (محمد بن قاسم ناصر بوحجام: 1423هـ/2003م، 44).

–طلب أبي مسلم من الشيخ اطفيش شرح قصيدة له:

ولقد اتخذت المراسلة منحى تصاعديا في ربط الصلة بالشيخ اطفيش، فبعد ذكر أبي مسلم لهذه الواسطة المتمثلة في الشيخ السايح الحاج أحمد بن الحاج أحمد ذكر جوانب علمية عملية في التعاون، فقال مخاطبا الشيخ اطفيش، وممهدا لذكر طلبه: «ثم إني أسألك من فضلك مسألة لا تعز عليك، ولا يعسر وجودها لديك، وذلك أنه قد من الله علي، بنظم قصيدة، تجمع أسماء الله الحسنى للتوسل بها، ولما استتمّت وطفقت ألهج بها، ويسّر الله طبعها في مُمبِئ، على ذمة بعض الأصدقاء الصالحين» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3و).

ولعل الصحيح «بُمبئ» كما ورد في نسخة القصيدة التي يشير إليها، فقد ورد في صفحة الغلاف ما يلي: «هذا المَعرج الأسنى في نظم أسماء الله الحسنى لوحيد عصره وفريد دهره من اشتهر بمكارمه في جميع النواحي ناصر بن سالم بن عديم الرواحي متع الله المسلمين بوجوده ومن علينا وعليه بكرمه وجوده»، وأسفل ذلك كُتب بالأردية: «در مطبع دتبرساد بُمبئ» وباء الكلمة الثالثة مثلثة. ولحسن الحظ فقد عثرنا على نسخة من تلك النسخ الخمسة، التي أرسل بها المؤلف أبو مسلم إلى الشيخ اطفيش (ناصر بن سالم الرواحي: 1307هـ/ 1890م)، كما ورد في متن هذه المراسلة.

ورغم أن هذه النسخة طُبعت في بومباي– الهند، وانتشرت ووصلت إلى مزاب في ذلك العهد؛ إلا أن الذين قاموا بجرد دواوينه وقصائده المخطوطة منها والمطبوعة لم يذكروها، واعتبر ديوانه الذي طُبع في العام 1447هـ/ 1928 م، أول ديوان طُبع لشاعر عماني، والواقع بخلاف ذلك (محمد بن ناصر المحروقي: 1999–2000م، 46–60)، (فتحي شحاتة عطية: 1994م، 560).

ونسخة القصيدة المشار إليها، تقع في 15 صفحة، متوسطة الحجم، بخط نسخ جميل واضح، من نسخ الملا الشيخ محمود بن الشيخ آدم مقدم الكوكني، وقد تم طبعها في شوال 1307هـ/ 1890 م، أي سنة تقريباً، قبل إرسال هذه المراسلة، وبالنظر إلى ذلك الجرد المشار إليه، فهو أقدم تاريخ نسخ وطباعة لأعمال أبي مسلم المعروفة إلى حد الآن!

ولما رجعت إلى معجم المطبوعات العربية وجدته ذكر كتاباً واحداً لأبي مسلم بهذا النص: «ناصر بن سالم بن عديم الرويحي (ت 1334هـ/ 1916م) الفتح الرحمانية من الأدبيات العمانية،

بمبيء: المطبعة «ق»، 1373هـ/ 1954م، 44 ص» (أحمد خان: 1421هـ/2000م، 492).

يلاحظ في هذا النص عدم الضبط، ويبدو أن هذا التاريخ للوفاة، أُخذ من أعلام الزركلي فقد حدده بهذا التاريخ (الزركلي: 1986م، 7/ 348)، أم أن المذكور شخصَ غير أبي مسلم البهلاني، والذين اهتموا بجرد مؤلفاته الموجود منها والمفقود أيضا، لم يذكروا له كتاباً بهذا العنوان (ناصر بن محمد السلامي، 1985هـ، 48)، (سلطان الشيباني، 1424هـ/ 2003م، 5–34) (فهد السعدي: 1428هـ/2007م، 254/3)، فهل هو تأليف لأبي مسلم لا يزال غير معروف؟

ثم إن أبا مسلم بعد ذكره لقصيدته التي أنشأها في أسماء الله الحسنى، وتيسر طبعها، والحفاوة التي لقيتها من جميع الفرق، وذكره لطريقة قراءتها في جماعة، وما شاهده من بركاتها، وكيف أنه أرسل إلى الشيخ اطفيش خمس نسخات منها على يد الحاج أحمد؛ طلب من الشيخ اطفيش شرحها بقوله: « فالذي أُريده منك أن تُعلّق عليها شرحاً، يكشف عن غوامض أسرار أسماء الله، وما لكل اسمٍ من الخواص والأوفاق والأملاك والأعوان والأوقاتَ المناسبة، وجَميع ما يناسب ذلك، وما يتعلّق به، من علم الأسماء، وذلك هو المراد لا غير»(أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3و).

وهذه المراسلة تعد وثيقة أخرى لاعتماد الشيخ أبي مسلم على الشيخ اطفيش في مضمار «أسماء الله الحسنى»، وهذا إلى جانب ما ورد في النفس الرحماني، ففي الذكر الأول «الوادي المقدّس في أسماء الله الحسنى» قال أبو مسلم: «وآخرها اسمه الصبور، اعتماده على ما أورده الشيخ القطب النوراني الحاج محمد بن يوسف اطفيش في كتابه الغسول في أسماء الرسول من كون الصبور من أسمائه الحسنى» (ناصر بن سالم بن عديم الرواحي: 1424هـ/2004م، 34) وعلى كل، فلا ندري هل الشيخ اطفيش استجاب لهذا الطلب من أبي مسلم في وضع شرحٍ لنظمه، مهتماً بأسمائه تعالى أم لا؟ ولكن في خزانته مؤلّف له بخطه بعنوان: الذخر الأسنى من الأسماء الحسنى، فلعل تأليفه كان تلبية لهذا الطلب، لكن لم يبيّن ذلك الشيخ اطفيش، ومن عادته تبيين ذلك في المقدّمة، ثم إنه لم يؤرخ لسنة التأليف، لكن من خلال نوع الخط وتشابه التسمية بين المعرج الأسَنى والذّخر الأسنى، واتحاد الموضوع تقريبا؛ نحتمل أن ثمة علاقة ما، والله أعلم.

–الجانب التصوفي في شخصية أبي مسلم:

ثم إن هذه المراسلة تؤكد إيغال أبي مسلم في التصوف، بابتداعه لطريقة كاملة في ذكر الله، بشكلها ومضمونها وترتيباتها، وقد وصفها بهذا الشكل: «وكنت قد عملت طريقةً لقراءتها، وذلك أنّ الجماعة يبسطون أيديهم، ويفتحون أكُفَّهم، والقارئ يقرؤها، وكلمَا قرأ بيتاً من بيوتها، ينطق الجماعة كلّهم باسمه تعالى «فتاح» بياء النداء، بعد القافية.. هكذا إلى آخرها، فإذا تمت قراءتها، نطقوا –أيضا– كلّهم، بالاسم الشريف المذكور عشر مرّات، ثم يقرأُ القارئُ الدّعاء المرسوم بعدها،

المسمى بـ دعاء الحروف مرة، وعلى رأس كل كلمة من كلمات الدعاء، ينطق الجماعة باسمه تعالى «الله» بياء النداء، إلى حرف الياء.. فيقولون «آمين» إلى تمام الدعاء، ثم يقرؤون ما تيسَّر من صيغ الصلاة على النّبي محمد -ﷺ-» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3و)، والسؤال: مَا مستند أبي مسلم في ابتداع هذه الطريقة، أو هل كان يحاكي في ذلك أحداً أم هو محض إبداعه؟ أسئلة نتركها للمهتمين بالأدب الصوفي عند أبي مسلم.

و«دعاء الحروف» هنا، قد ورد ذكره في نسخة المعرج الأسنى المطبوعة في الهند وغيرها، ففي ترتيب هذا النظم في المطبوعة يرد أولا: تقديم نثري منَ سبعة أسطر، وثانيا نظم فيه: المقدمة في شروط الذكر، فالذّكر بلطائفه الستّة وخاتمته، ثم ثالثا: «دعاء الحروف إنشاء ناظم المعرج»، وإلى هنا ينتهي الذكر حَسب المراسلة، لكن في المطبوعة أيضا أُلحق به «دعاء أحرف النورَ»، فقصيدة من عشرة أبيات، فيها التوسل ببعض صفات الله تعالى.

وهذه المراسلة كما كشفت عن هذه الطريقة، فقد كشف أيضا عن تسميتها، يقول أبو مسلم: «وهذه الطّريقة سميتها الفتح المبين والحبل المتين» ويضيف منوهاً بها ومغرياً عليها الشيخ اطفيش: «ولقد شاهدتُّ من بركاتها، ما أرجو أن ينكَشف لك -إن شاء الله» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3و-ظ).

والملاحظ أنه ليس في النسخة المطبوعة المرسلة إلى الشيخ اطفيش شيء من ذلك، فهل هذا المعرج هو الذي كانت تُسمّى طريقته بـ «الفتح المبين والحبل المتين»؟ وواضح أن الطريقة غير «شَروط الذكر» ؛ فالطريقة بيان لكيفية تلاوة الذكر، من كونه يتلى في جماعة، بين قارئ للنظم وجماعة يرددون أذكاراً بانتظام كما بين، وأيضا بذلك الشكل المشروط في «الجماعة يبسطون أيديهم، ويفتحون أكُفَّهم» ، أما شروط الذكر فهي ضبط للحالة التي يكون عليها الذاكر، من طهارة القلب والإخلاص لله، والاستقبال والوضوء، وتحبيب صوم الخميس وهكذا، لكن يلاحظ أن من الشروط التفرد في الخلا، وهذا قد لا يستقيم مع الطريقة من كونها تُتلى في جماعة؟ وهذا أيضا يجرنا إلى السؤال: لماذا لم تطبع هذه الطريقة مع نظم المعرجَ الأسنى، بل كشف عنها أبو مسلم في المراسلة؟

ذكر سماحة الشيخ الخليلي أنه اطلع على أن أبا مسلم قد نظم قصيدة «الناموس الأسنى»، وهو لم يتجاوز من العمر واحداً وعشرين عاما، وهذا حسب ما وجده من تاريخ نظمها، وفي النسخة المطبوعة من «المعرج الأسنى» التي أشرت إليها سابقا تاريخ نظم هذه القصيدة وهو: 1299هـ/ 1882م (ناصر بن سالم بن عديم الرواحي: 1307هـ، 8)، ومعنى ذلك أنه نظمها حين

كان في زنجبار في رحلته الأولى، وقبل أن يعود إلى عمان في العام 1300هـ/ 1883م، وربما راجعها وأضاف إليها دعاء الحروف، ثم قدّمها للطباعة في العام 1307هـ/ 1889م.

وقد يتعجب قارئ المراسلة من طلب أبي مسلم الشاب من الشيخ اطفيش شرح قصيدته، لكن أبا مسلم يسارع فيهون من ذلك بقوله: « لأنّ نفس القصيدة لولا شرف موضوعها، ليس لها شرفٌ ولا مزيةٌ، ولا ممّا يعرض على فحول العلماء وجهابذتهم، فضلاً عن اعتنائهم بشرحها؛ لأنّ غذاء الأطفال لا يصلح للرجال» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3ظ)؛ فإذن كان هدف أبي مسلم أكثر تعرض الشيخ اطفيش لشرح أسماء الله الحسنى في القصيدة، لكن أيضا نقرأ في الطلب اعتداد أبي مسلم بنظمه؛ حتى ليطلب شرحه من الشيخ اطفيش، ولا يمكن للشارح أن يقتصر في شرحه بالمضمون دون النظم الحامل له، وبحث مدى أدائه للمعنى.

وكشفت المراسلة أيضا أن أبا مسلم حاول وضع شرح لقصيدته تلك تقريباً لها للقارئ، لكن وفاة والده الفاضل –كما سبقت الإشارة– حالت دون إتمام مراده، بعد أن تأثّر بالفقد وتشوش ذهنه، ويبدو أن فكرة إرسال القصيدة إلى الشيخ اطفيش لشرحها راودته بعد ذلك، تطلّعاً لمعان جديدةٍ ولابد، فكان منه ذلك الطلب المتقدّم، وإن بالغ في هضم نفسه حين قال: «وكنت قدَ اعتنيتُ بشرحها على قصر باعي وخسة طباعي، وخور نفسي، وانطفاء بصيرتي وحسي وحدسي، فشرحت منها ما شاءَ الله [...] َعلى أن الحاصل من الشرح، في غاية الركاكة» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3ظ). ولم أجد من ذكر هذا الشرح المشار إليه، ويمكن أن يعدّ أقدم مؤلّف نثري مؤرخ –حسب هذه المراسلة– لأبي مسلم، وعسى الأيام تكشف عنه، كما كشفت هذه المراسلة عن وجوده، نسأل الله تعالى من كرمه وجوده.

هذا التنسيق العلمي الفريد بين أبيَ مسلم والشيخ اطفيش بتلك الواسطة وبذلك العمل العلمي المطلوب لم يقف في حدود طلب الشرح، بل تطلّع أبي مسلم إلى ما بعده من نسخٍ وطباعة واقتراحِ المطبعة ثم البيع، ما دلّ على حرص بالغ من أبي مسلم لمشروعه هذا، وفي ذلك يقول مخاطبا الشيخ اطفيش بعد تقديم طلبه المذكور: «راجيا من الله –جلّ جلاله– لك العون والمساعدة، وأن ينقضي المراد في أسرع وقت، ومهما تمّ الشرح؛ فإن تيسّر طبعه بـ المطبعة البارونية، وإرساله هنا للبيع َكالكتب الواصلة أولا؛ فذلك أَولى وأعلى» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 3ظ– 4و)، ولا تخفي هذه العبارة مقدار تشوق أبي مسلم للشرح وطبعه، وبيعه لنفع خلق الله تعالى به، بل زاد وذكر ما قد يعدّ إغراء للشيخ اطفيش حين قال: «وليتيسر له –إن شاء الله– البيع الرابح، وإن لم يتيسر له الطبع بالقالب المذكور (امحمد بن يوسف اطفيش: د.ت، 54ظ–55و) فلا ضير، ولا بأس بإرساله على اسم العبد خويدمك الفقير، وإن استحق نسخه

هنالك عوضاً، فعلي ضمانه» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 4و)، فالمهم حصول الشرح، ويَهون كل شيء في سبيله بعد ذلك.

وختم أبو مسلم مراسلته بقوله مخاطبا الشيخ اطفيش: «ولا تنساني من الدّعاء الصالح، على نيتي الخيرية، ولوالدي –رحمه الله–» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 4و)، ثم وثّق لحدث المراسلة زماناً ومكاناً، وذكر اسمه الكامل، فقال: «وقد كتبت لك هذه العجالة، والبابور يضرب بوقه للرحيل.. وعليك –يا سيدي ومولاي– جزيل السلام ورحمة الله وبركاته.. من العبد خويدم المسلمين، الفقير لله تعالى: ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العبسي الإباضي العمَاني قطراً، المحرمَي بلداً ووطنا. حرّرت الكتاب بيدي في يوم: 13 شهَر ذو القعدة سنة 1308» (أبو مسلم الرواحي، 1308هـ/1891م، 4و).

خاتمة:

فإذن هذه هي مراسلة أبي مسلم العلمية الأخوية الإيمانية من زنجبار في الشرق الإفريقي، إلى الشيخ اطفيش في مزاب بالجزائر؛ جاءت لتكشف نموذجاً فريداً مكتملاً من ذلك التواصل بين المشرق والمغرب، وبكل ما يمكن أن تحويه مراسلة من هذا النوع من صلات، وكان ذلك كله في ظروف صعبة اجتماعياً وسياسياً، لولا تلك الحاجات الإخوانية الإيمانية العلمية، التي كانت تجسر العلاقاتَ بين الطرفين، وقد عرفنا من خلال هذه المراسلة:

– توثيق لقيا الشيخ أبي مسلم بالشيخ اطفيش، وهذا بتصريح أبي مسلم نفسه، وكانت في حجة 1302هـ/ 1885م، مع توثيق مكانها، وتكون هذه المراسلة بذلك أول مصدر كتابي يوثّق ذلك.

– توثيق سنة وفاة والد أبي مسلم «العالم الزاهد» –كما وصفه–، بزنجبار في: 27 ربيع الأول 1308هـ/ الأحد 9 نوفمبر 1890م، ولم يرد هذا التاريخ عند من كتبوا عنه، وكيف أن هذه الوفاة شوشت أبي مسلم، وعطّلت من شرحه للقصيدة التي بعث بها إلى الشيخ اطفيش.

– وكيف أن وفاة هذا الوالد والاشتغال بأمر عائلته وحقوق وصايته، هي ما منعت الشاب أبي مسلم من الالتحاق بالشيخ اطفيش وخدمته والتتلمذ عليه.

– اطلاع الشيخ أبي مسلم على تفسير الشيخ اطفيش الأول المسمى «هميان الزاد إلى دار المعاد»، وإشارته إلى ذلك في مراسلته بقوله: «ووفّقته لتفسير كتابك الكريم»؛ وكان وقتئذ يطبع في المطبعة السلطانية بزنجبار، برعاية السلطان برغش بن سعيد ووقفه.

– تواصل الشيخ أبي مسلم مع السائح المغربي، الذي كان يتردد على عمان وزنجبار، وسماه بـ «أخينا الشيخ السايح الحاج أحمد بن الحاج أحمد»، وكيف أنه اقترحه واسطة علمية بينه وبين الشيخ اطفيش.

– ذكر أبي مسلم لقصيدة له في أسماء الله الحسنى للتوسل بها، وكيف أنه طبعها في الهند، في شوال 1307هـ/ 1890م، أي سنة تقريباً، قبل إرسال هذه المراسلة، ولم يرد ذكرها مع الذين قاموا بجرد دواوينه وقصائده المخطوطة منها والمطبوعة، واعتبر ديوانه الذي طُبِع في العام 1447هـ/ 1928م، أول ديوان طُبع لشاعر عماني، والواقع بخلاف ذلك.

– ذكر أبي مسلم لتلك الحفاوة التي لقيتها قصيدته تلك من جميع الفرق، مع ذكره لطريقة قراءتها في جماعة، وما شاهده من بركاتها، وكيف أنه أرسل إلى الشيخ اطفيش خمس نسخات منها على يد الحاج أحمد المذكور؛ طالباً من الشيخ اطفيش شرحها.

– توثيق اعتماد الشيخ أبي مسلم على الشيخ اطفيش في مضمار «أسماء الله الحسنى»، وهذا إلى جانب ما ورد في مؤلفه النفس الرحماني في موضع منه، وإن كنا لا ندري هل الشيخ اطفيش استجاب لهذا الطلب من أبي مسلم في وضع شرحٍ لنظمه، مهتماً بأسمائه تعالى أم لا؟

– تعد المراسلة وثيقة هامة في الكشف عن المنحى التصوفي لدى أبي مسلم، بابتداعه لطريقة كاملة في ذكر الله، بشكلها ومضمونها وترتيباتها، وإن لم تكشف عن مستنده في ذلك.

– كشفت المراسلة عن تسمية هذه الطريقة بقول أبي مسلم «وهذه الطّريقة سميتها الفتح المبين والحبل المتين»، وكيف أنه شاهد من بركاتها ما يرجو أن ينكشف للشيخ اطفيش أيضا.

– وكيف أن أبا مسلم حاول وضع شرح لقصيدته تلك تقريباً لها للقارئ، لكن وفاة والده الفاضل –كما سبقت الإشارة– حالت دون إتمام مراده، بعد تأثّره بالفقد وتشوش ذهنه، ويبدو أن فكرة إرسال القصيدة إلى الشيخ اطفيش لشرحها راودته بعد ذلك، تطلّعاً لمعان جديدة.

– توثيق هذا الشرح، ويمكن أن يعد أقدم مؤلّف نثري مؤرخ –حسب هذه المراسلة– لأبي مسلم، وعسى الأيام تكشف عنه، كما كشفت هذه المراسلة عن وجوده.

– كشفت المراسلة عن هذا التنسيق العلمي الفريد بين أبي مسلم والشيخ اطفيش بتلك الواسطة وبذلك العمل العلمي المطلوب،ولم يقف ذلك في حدود طلب الشرح، بل تطلّع أبي مسلم إلى ما بعده من نسخٍ وطباعة واقتراح المطبعة ثم البيع.

– والمراسلة أخيراً تكشف عن تحلّي الشيخ أبي مسلم بالأدب الإسلامي «الصوفي»، خلقاً وقولاً وفعلاً، بل وناظماً وشارحا ومبرمجاً وداعياً.. رحمه الله وأكرم مثواه.

المراجع:

1. إبراهيم أبو اليقظان، ملحق السير (نسخة مخطوطة مصورة)؛ مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر.
2. أحمد خان، معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى 1980م؛ مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/ 2000م.
3. امحمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير (مخطوط)؛ بخط المؤلف، مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، برمز: أ–ب 1–3.
4. امحمد بن يوسف اطفيش، جامع الشمل في أحاديث خير الرسل (مخطوط)؛ بخط المؤلف، مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، برمز: أ–د 2.
5. امحمد بن يوسف اطفيش، الذخر الأسنى من الأسماء الحسنى (مخطوط)؛ بخط المؤلف، مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، برمز: أ–هـ 5.
6. امحمد بن يوسف اطفيش، هميان الزاد إلى دار المعاد (مخطوط)؛ بخط المؤلف، مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، برمز: أ–ب 1–1 ج2.
7. امحمد بن يوسف اطفيش، هميان الزاد إلى دار المعاد؛ المطبعة السلطانية بزنجبار، ط1، ج1–14.
8. الزركلي (خير الدين)، الأعلام؛ دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، د.ر.ط. 1986م.
9. زعيمة سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد؛ مطابع الاستقلال الكبرى، د.ر.ط. 1964م.
10. شاكر البتلوني، نفح الأزهار في منتخبات الأشعار؛ تصحيح: إبراهيم اليازجي، المطبعة الأدبية– بيروت، ط3، 1886م
11. مصطفى بن الناصر وينتن، آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش العقدية؛ رسالة ماجستير، نشر جمعية التراث، القرارة–الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1417هـ/1996م.
12. الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش وثلاثية المقاومة، الجهل بالعلم والتخلُّف بالعمل والاستعمار بالجهاد؛ في طريقه إلى الطبع قريبا –بإذن الله تعالى–.
13. محمد صالح ناصر، أبو مسلم الرواحي «حسان عمان»؛ مكتبة مسقط–عمان، ط1، 1416هـ/1996م.
14. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر؛ مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ/2003م
15. محمد بن ناصر بن راشد المحروقي، الشعر العماني الحديث أبو مسلم البهلاني رائدا 1860–1920م؛ المركز الثقافي العربي، ط1، 1999–2000م.
16. فتحي شحاتة عطية، الشاعر العماني الشيخ أبو مسلم البهلاني ناصر بن سالم بن عُديّم الرواحي، حياته وشعره (1276– 1339هـ/ 1860– 1920م)؛ رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم الأدب والنقد، 1994م.
17. فهد بن علي بن هاشل السعدي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق) من القرن الأول الهجري إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري؛ نشر مكتبة الجيل الواعد، مسقط–عمان، ط1، 1428هـ/2007م.

18. المنتدى الأدبي، قراءات في فكر البهلاني الرواحي؛ وزارة التراث القومي والثقافة، حصاد الندوة، أحمد بن سعود السيابي (14–16 رجب 1415هـ/ 17–19 ديسمبر 1994، ط1– 1418هـ/ 1998م)، أبو مسلم البهلاني الرواحي حياته شيوخه تلاميذه... (القراءة الثالثة).
19. ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، العقيدة الوهبية؛ مراجعة سلطان بن مبارك الشيباني، مكتبة مسقط–عمان، ط1، 1424هـ/2003م.
20. ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، العقيدة الوهبية؛ ت: صالح بن سعيد وعبد الله بن سعيد القنوبيان، مكتبة مسقط–عمان، ط1– 1425هـ–2004م، 1425هـ/2004م
21. ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، المعرج الأسنى في نظم أسماء الله الحسنى؛ در مطبع دتبرساد بمبئ، 1307هـ
22. ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر؛ مكتبة مسقط–عمان، ط1، 1421هـ/2001م.
23. ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني؛ مكتبة مسقط–عمان، ط2، 1424هـ/2004م.
24. ناصر بن محمد السلامي، شعر الحب الإلهي في الأدب العماني مع دراسة تحليلية لشعر أبي مسلم الرواحي، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 1995م.
25. مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، المطبوعات الحجرية البارونية.
26. مكتبة القطب، يسجن، غرداية–الجزائر، رسائل واردة إلى القطب، برمز: أ–ر.
27. مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد، غرداية– الجزائر، مجموع رسائل، برمز: دغ 03.
28. الموسوعة العمانية، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط– عمان، ط1– 1434هـ/ 2013م.
29. محول التاريخ: http://www.al- islam.com/Loader.aspx?pageid=620.